تمثلها وهذه الأخيرة تمثل حقل دلالة للكلمات مناسبة ومباشرة.

واستخدام الناس لهذه الإشارات في محاولة لتدوين أفكارهم إسعافاً لذاكرتهم أو كشفاً عن أفكارهم، إذا جاز التعبير، وطرحها أمام أنظار الآخرين: كلمات في دلالاتها الأولية أو المباشرة لا تمثل شيئاً سوى الأفكار الموجودة في ذهن الشخص الذي يستخدمها. ويبدو النقص أو اللامبالاة في جمع تلك الأفكار من الأشياء التي يفترض فيها أن تمثلها. عندما يكلّم رجل رجلاً آخر، فقد يفهمه السامع وغاية الكلام أن تلك الأصوات ـ وهي إشارات ـ تكشف عن أفكاره للسامع. ثمّ إن تلك الأفكار التي تدلّ عليها هذه الكلمات هي أفكار المتكلّم، ولا يمكن لأحد أن يستخدم تلك الأصوات بمثابة إشارات لتدلّ مباشرةً على شيء آخر عدا الأفكار التي تدور في خلده. وذلك لأنه يجعل منها إشارات لمفاهيمه هو ومع ذلك يستخدمها للتعبير عن أفكار أخرى وربّما تصبح إشارات لا تدلّ على أفكاره في الوقت ذاته وتكون النتيجة انعدام الدلالة على الإطلاق. ولأن الكلمات إرادية فهذا لا يعني أنها يمكن أن تكون إشارات إرادية يفرضها هو على الأشياء التي لا يعرفها.

(المقالة: الكتاب الثالث، الفصل الثاني، الجزءان الأوّل والثاني)

ولكي تصبح المفردات مسخّرة لخدمة أغراض التواصل، من الضروري ـ كما أسلفنا ـ أن تثير في السامع الفكرة نفسها التي تمثلها في ذهن المتحدّث. وما دون ذلك فإن المتحدّثين يملؤون رؤوس السامعين بضوضاء وأصوات ولا ينقلون بذلك أفكارهم ولا يكشف الواحد للآخر عما يدور في أذهانهم إذ تلك هي غاية الخطاب واللغة. ولكن عندما تشير كلمة إلى فكرة معقّدة جداً ـ أي المركّبة والمجزّأة ـ فليس من السهل على المتحدّثين أن يصوغوا تلك الفكرة بدقّة عالية ويحتفظوا بها، مثلما نحاول أن نجعل الاسم الشائع الاستخدام يشير إلى الفكرة الدقيقة

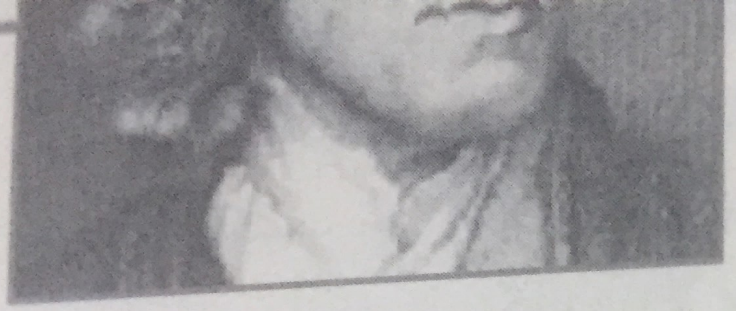

لوك ونقص المعنى

برغم أنّ لدى الإنسان أفكاراً متنوعة يستطيع ـ كما يستطيع الآخرون ـ ن يحصل منها على النفع والبهجة، فهي كلّها في صدره لا تُرى بالعين افية على الآخرين إذ لا يمكن لهذه الأفكار أن تظهر من تلقاء نفسها. كما يمكن تحقيق الراحة والنفع للمجتمع من غير إيصال هذه الأفكار، ومن ضروري أن يكتشف الإنسان بعض الإشارات الخارجية المفهومة، لكي مكّن من إعلان تلك الأفكار الخافية ـ التي تشكّل مجمل تفكيره ـ على آخرين. ولا شيء يناسب هذا الغرض من حيث الوفرة أو السرعة مثل أصوات المنطوقة التي بوسع الإنسان أن يخرجها بيسر وتنوّع. وهكذا سعنا أن نفهم كيف أن الكلمات ـ وهي ملائمة لذلك الغرض بطبيعتها ـ صبحت ذات نفع للناس كونها إشارات تدل على أفكارهم، ليست بالعلاقة بيعية التي تنشأ بين الأصوات المنطوقة المعينة والأفكار المعينة، لكي لا صر ذلك على لغة واحدة وحسب تنتشر بين الناس كافة؛ ولكن بالفرض ادي، بحيث تصبح الكلمة تدل على الفكرة بشكل اعتباطي. ويصبح خدام الكلمات ـ إذاً ـ بمثابة إشارات ذات معنى تدلّ على الأفكار التي